

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن الرأس من أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والتي فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقائطين فيهم من عذر، أيرضون بالعبودية الاجانب بعد تلك السيادة العليا؟ ماذا يتغنون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وفقير وفاقة وشقاء دائم بيد عدو وغاشم؟ يطهشون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومترج غبي ومشنع ذلي ومعير خسيس يزموهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحككون بأن محال عليهم أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسأخ الانسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكتتفة بكل هذه التماسات والكسرات أينسون أنهم كانوا الاعيان في الارض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التوار يخ، ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكلمة شوكة المسلمين من وجه الارض؟ ان كان للامامة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأبي عذر يكون لاهلنا وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسعون في توحيد منفرق المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى ان قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بمعضيدهم ليمكن الجميع من نصر الله « ان تمصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (٢)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثبات في يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض وما

(*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السمواتين ويشفقون على أحداهم أن يرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم ممتدة كنه في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا من وسم بسمه الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلجج بالحوقلة والاسترجاع ويمد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئتين من السنين لا يتأثرت قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستغفره الغضب ويدفعه للحكاية مارأي كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون بحكم شرعهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلمهم مأمور بذلك لافرق بين قريبتهم وبعيدهم ولا بين المتحدنين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقيم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يعالهم في حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفيت الشرعية في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حدلو عجز المسلم عن التماس من سلطة غيره لوجبته عليه الهجرة من دار حرب - وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون بحسب كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكروه بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهامات دينه ومع كل هذا ترى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلزم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكباب في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يبجش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون نداخل الانكليز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتاملون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الحيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملًا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعاملات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تمسبها وتقويها ونطمعها في الانفس ونطمع
الانفس عليها حتى يصير ما يمبر عنه بالملكه والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلازمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدرجات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكري يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع العمل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو لآخر عماد .

ان الاخرة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ما تمسك عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانساب
والعصبية على نيل المنافع وتضافرهم على دفع المضار وبعد كور الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لعون القريب وغضاضة الثواب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبه أمره على بعض النظرين فعده طبيعيا . فلأهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تندع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألبانه ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل مجري
مجري المحفوظات من الروايات والمقوليات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقيد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تتطبع عليه الجارحة وتقرن عليه و يهود أثر تكريهه على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكالها فلن يكون منشأ لاآثاره وإنما يمسد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول الدينة والنظر فيها بهين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الي ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في ثباتهم عن نصره اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كونه برأسه .

كما كانت هذه الجفرة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا لمر اكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التساير والتقاطم وارسال الحبال على القوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الاطيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الي الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ففزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقبما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وأنحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدايون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكركخان وأولاده وتميورلك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فنفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فبهدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة وبعث على اشتباك الشيعة وصار مافي العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب يعض المسلمين بمدآن ينفذ القضاء ويباغ الخبر الى المسامح على طول من الزمان وما هو الآ نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة اندارك التازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بشك في الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها ممهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتدخل فيها بما يحيط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر الموم ونوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما ينشأها من النوازل .

الا انا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والمقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب انصيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوجد جمعهم ويجمع شئيتهم فقد دارستهم التجارب بيان لامزيد عليه وما هو بالمسير عليهم أن ينشوا الدعوة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بقائده أو ما يخشى أن يسبب ضرر ويكون بهذا العمل الجليل قد أدوا فرضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير